فسوف نرى أن فهمنا يتجلى تدريجيًّا، وسوف ندرك تمامًا ما يتحدث عنه بولس الرسول.

1. إنه البر المقدم من الله **(عدد21). إن الله نفسه الذي يدينك، والغاضب منك، والذي أنت تزدري به؛ هو الذي جهّز لك هذا البر. يا لها من رحمة! إنه يقرر بوضوح، أن الله يفعل ما لا يمكن للإنسان أن يفعله على الإطلاق. يا له من سلطان!**

2. إنه معروض الآن **(عدد21). إنه مُعلَن الآن. إنه يمكن أن يُحسب لك الآن. يمكنك الآن أن تقف مبررًا أمام الله.**

3. إن هذا البر بدون الناموس. **وبكلمات أخر هو الطريق لأن تصحح موقفك من الله، (عدد21) وأن تصبح مقبولاً لديه. إن هذا البر معدّ لأولئك الذين لم يحفظوا الناموس، والذين لم ولن يستطيعوا أن يحفظوه؛ أي أنه لنا جميعًا. الناموس يَعِد بالحياة كل مَن يحفظونه، ويتوعد باللعنة الذين لا يحفظونه؛ لذلك جميعنا تحت اللعنة. لكنَّ واحدا صار لعنة لأجلنا. إنه الوحيد الذي حفظ الناموس كاملاً؛ لذلك فالبر الذي لم نكن نستحقه مطلقًا، صار مُقدمًا لنا الآن.**

4. إن هذا البر "مُعلن" **(عدد21). إنه ليس سرًّا مغلقًا، مُعدًّا لفئة خاصة من الناس. البر مكشوف، مقدمٌ للجميع، بما فيهم نحن.**

5. هذا البر يشهد له الناموس والأنبياء **(عدد21). إنه ليس تصورًا، حلم به الرسول بولس، كما أنه ليس اختراعًا حديثا. لقد أُعلن منذ القديم. إن العهد القديم يشهد لهذا البر .. إنه الطريق الذي به وُضع رجال الله في علاقة صحيحة مع الله.**

6. *إنه فعال بالإيمان بيسوع المسيح* (عدد22). يؤكد لنا بولس الرسول أنه يتحدث عن البر، الذي يُقبل بالإيمان وليس بالأعمال، وهذا الإيمان لا يعمل في فراغ؛ لكنه الإيمان بيسوع المسيح، الذي له الاستحقاق، وبعمله أصبح البر مُتاحًا. الإيمان في حد ذاته لا يستحق هذا البر؛ لكن الإيمان هو الأداة التي بواسطتها نقبل البر. يسوع المسيح قد اشترى هذا البر، والمؤمن حُسب له. ليس عليه أن يفعل شيئًا ليستحق هذا البر. إنه عطية تُقبَل بالإيمان.

7. *كل مَن يؤمن يحصل على هذا البر* (عدد22 ، 23). إن كل واحد هو في نفس حالة اليأس والعجز، وهذا البر ليس لمجموعة مختارة فقط ؛ لكنه لكل مَن يؤمن بابن الله. وحيث لا يوجد إيمان؛ فلا يمكن الحصول عليه. التقسيمات القديمة للجنس البشري، لا تُطبق في هذا المجال. الجميع – يهودًا كانوا أم أممًا – فشلوا في تحقيق الهدف الذي خُلقوا من أجله، وليس هناك مَن يمكنه أن يرضي الله بمجهوده الشخصي، ولا بأي شيء يمكن أن يعمله؛ لكن كل مَن يؤمن يحصل على البر. لا فرق بين يهودي وأممي.

8. *إنه عطية مجانية بنعمة الله* (عدد24). "التبرير هو عمل نعمة الله المجانية، من خلاله يغفر الله خطايانا، ويقبلنا كأبرار في نظره، وهذا فقط لأن بر المسيح قد حُسِبَ لنا، ونحن نلناه بالإيمان، وبالإيمان فقط "أصول الإيمان الويستمنستري المختصر." إن تعليم بولس الرسول يؤيد تمامًا هذا التعريف. إنه يخبرنا أن الله لا يقبل الإنسان بسبب الأعمال؛ ولا حتى بسبب الإيمان، (مع أن الإيمان هو الوسيلة التي بواسطتها نحصل على البر)؛ وليس بأي شيء بشري آخر. البر الذي يتحدث عنه الرسول هو عطية. إنه ليس مكافأة "للنجاح". إنه هبة مطلقة لغير المستحقين؛ فأولئك الذين يقبلون البر، لا يساهمون بشيء في ذلك. إنه لا يعتمد على أي استحقاقات، يمكن أن نفترض وجودها لديهم. إنه تبرير الأثمة. إنه يكسو الشحاذين ثياب الملك.

9. إنه يُعطى بالفداء الذي في المسيح يسوع **(عدد24). الخلاص يُعطى مجانًا؛ ولكن لا يجب أن نفكر أنه اشتُري بثمن رخيص. إن كلمة "فداء" تشير إلى إعادة شراء الشيء مرة أخرى، عن طريق دفع ثمن. مَن الذي دفع الثمن؟ المسيح. ما نسبة ما دُفع من الثمن؟ الكل. إنه لم يترك لنا شيئًا لندفعه. لكن ما هو الثمن الذي دفعه ؟**

10. كان الثمن يستلزم أن يكون هو ذبيحة دموية **(عدد25). وبكلمات أخَر، كان عليه أن يكون هو المحتمِل لغضب الله بل والمسكِّن الذي يحوِّل هذا الغضب. لقد كان عليه أن يمحو سجل خطايانا، وقد عمل ذلك بالدم – دمه هو– أيُّ حب هذا! إن الله – ولسنا نحن – الذي أعلنه أن يكون هكذا. لقد كان الجلجثة هو المكان الذي تم فيه ذلك. والآن، وعن طريق الإيمان بالمسيح، يمكن أن تصبح فوائد هذه الكفارة لي أنا. بهذه الطريقة تُغفر خطيتي، وأنجو من العقاب الذي أستحقه.**

11. هذه الكفارة تمتد صلاحيتها للماضي، كما للمستقبل **(عدد25). إن الله ليس محايدًا بالنسبة لمطالب العدالة، مع ذلك فإنه صبر كثيرًا على خطايا الكثيرين في العهد القديم، وعلَّق إدانتهم. كان سيكون من الظلم أن يترك الله المذنب دون عقاب، لكن علينا أن نفهم، أن العقاب الذي يستحقونه، قد وقع على المسيح. إن هؤلاء الذين برّرهم الله في العهد القديم، برّرهم على أساس ما كان على المسيح أن يفعله عنهم في الجلجثة.**

12. لقد أصبح واضحا الآن أن الله بار **(عدد26). قد يكون تغاضي الله عن خطايا قديسي العهد القديم، بدا وكأنه ظلم، لكننا الآن نستطيع أن نرى بوضوح أن الأمر ليس كذلك؛ فطوال ذلك العصر، كانت أحداث الصليب في فكر الله، حيث كان العقاب العادل – لخطاياهم – في طريقه إلى أن يحمله بديلهم. أما الآن فهذه الأحداث قد حدثت، ونستطيع أن نرى كيف أن الله بار؛ وهو ما لم يستطع أن يراه الناس في العصور القديمة. لم يعد هناك أي حجاب يستطيع أن يُخفي كرسي الرحمة. لقد أعلن التبرير بالإيمان – الآن – بشكل لم يكن معروفًا من قبل.**

13. *عدل الله لا يقبل الحلول الوسط* (عدد26). لقد كان موت المسيح على الصليب عقابًا، إرضاءً للعدل الإلهي. كان موته موتًا بدليًّا؛ فقد أخذ المسيح العقاب الذي كان يجب أن يناله الآخرون. العقوبة المطلوبة قد دُفِعت؛ فلم يبطل عدل الله. إنه يبقى عادلاً.

14. *نعمة الله أيضًا استُوفيت* (عدد26). العقاب المستحَق على الخاطئ الذي يؤمن بالمسيح، يُحسب على المسيح، وبر المسيح يُحسب لذلك الخاطئ الذي يؤمن. وهكذا يخلُص الخاطئ بكل تأكيد، وهكذا أيضًا تستوفي نعمة الله أغراضها. إن كلا من عدل الله ومحبته استوفيا مطاليبهما؛ لا شيء منهما أبطل. يظل الله عادلاً؛ ومع ذلك يوجد تبرير لكل مَن يؤمن بيسوع. يا لها من حكمة!!

15. *كل هذه لكل مَن يؤمن بيسوع* (عدد26). يوجد رجاء للخطاة الهالكين، لكنه رجاء واحد فقط. ما أضيق الإنجيل، وما أرحبه في الوقت نفسه؛ لأن فوائده هي لكل من يؤمن. ما أعمق أفكار الإنجيل؛ لكنه في الوقت نفسه مدهش في بساطته؛ فإن تبرير الله هذا يُقبَل بالإيمان وبالإيمان فقط. هذا النص هو جوهر تعليم بولس الرسول عن الإنجيل. دعونا جميعًا نرى فيه أننا نحن الهاربين من خطايانا لجأنا إلى المخلص الذي عيَّنه الله، وبالاتكال عليه – وحده دون سواه – دخلنا كل واحد منا شخصيًّا إلى ملء هذه البركات، التي نقرأها الآن.

مضمونان هامان

1. *كل هذا يعني أنه لا مجال لتهنئة النفس* (عدد 27 ، 28). إن نوع التفاخر المذكور في نهاية الأصحاح، لا مكان له. إننا لم نعمل شيئًا على الإطلاق، لنضمن هذا البر،

وحقيقة أن هذا البر أصبح لنا بالإيمان، وليس بالإعمال، تحول دون هذا التفاخر. لا أحد يستطيع القول بأنه يستحق هذا البر. التبرير ليس له علاقة بأي شيء عملناه أو نأمل أن نعمله. إنه يأتينا عن طريق الإيمان فقط؛ وليس عن طريق أعمال الناموس.

2. ***إن هذا يعني أيضًا، أن الله هو إله كل من اليهود والأمم*** **(عدد 29، 30). إذا استطعنا أن نكون مَرضيين عند الله بالناموس اليهودي؛ يكون الله حينئذ هو إله اليهود فقط، وليس إله الأمم؛ ولكن الأمر ليس هكذا، فكل من اليهود والأمم ساقطون. ويعلن الإنجيل عن طريق واحد فقط للبر؛ لكل من اليهود والأمم. الله يقبل كلا منهما على نفس الأساس. إنه إلههما؛ ولا يوجد اختلاف بين الطريقة التي يقبل بها كلا منهما (اليهود والأمم)، أكثر من الاختلاف بين التعبيرين (بالإيمان) و (بواسطة الإيمان)، هذا الاختلاف الذي لا يمكن لأحد أن يميّزه. الفروق القديمة بين اليهود والأمم قد بطلت. يوجد الآن خط واحد فقط للتمييز، يمتد عبر الجنس البشري؛ ففي نظر الله، أنت لم تعد يهوديًّا أو أمميًّا، ولكنك في نظر الله إما خاطئ مخلَّص، أو هالك.**

اعتراض أخير

كل ما سبق ُيثير سؤالاً (عدد31). إذا لم يمكن قبولنا من الله بالناموس؛ فهل معنى هذا أن الناموس بلا قيمة؟ حاشا – نحن لا نقلل من شأن الناموس؛ لكننا في الحقيقة ننبِّر على أهميته. كيف؟

لماذا نحتاج للتبرير؟ لماذا نحتاج أن نكون أبرارًا في نظر الله؟ لأننا جميعًا تحت التزام الناموس؛ فهناك ما هو صواب وما هو خطأ. فإذا لم نكن أبرارًا تمامًا، أو لم يحسب لنا هذا البر؛ لا يمكن أن نكون مقبولين أمام الله.

ما ضرورة الصليب إذًا؟ لأن متطلبات كسر الناموس لا يمكن التغاضي عنها ببساطة. مطالب عدالة الله يجب أن تُستَوفى، وقد تم هذا عندما مات البديل – البريء – بدلاً من الخطاة الأثمة، أولئك الذين جاء ليخلِّصهم.

كلا – الإنجيل ليس عدوًّا للناموس. إنه الرسالة التي تؤيد البر وتدين الخطية، ومع ذلك فهو مختلف عن الناموس. الناموس يثبت أن كل إنسان مذنب، ويدين الجميع؛ ولا يبرر أحدًا؛ لكن الإنجيل يوضح، كيف أن هؤلاء المذنبين – الخطاة المُدانين – يمكن أن يُقبَلوا من الله، الذي أغضبوه. ولأن الناموس موجود ومُلزم؛ لذلك فالإنجيل ضروري؛ لأنه إذا لم يكن أحد مدانًا؛ فلن يكون هناك أحد محتاجًا إلى الخلاص. إذا لم يكن هناك ناموس؛ لم تكن لنا حاجة للإنجيل؛ لذا فالاثنان – الناموس والإنجيل – لا يمكن أن ينفصلا. لاشك أن هناك اختلافًا بينهما؛ لكن هناك أيضًا ترابطًا وتناغمًا بينهما. هذه الحقيقة الهامة غالبًا ما ننساها، ونحتاج أن نتعلّمها مرة أخرى.

اقرأ الأصحاح الرابع من رسالة رومية

مثال من العهد القديم على التبرير بالإيمان

ما قدمه بولس من تعليم حتى الآن كان يمكن أن لا يثير اليهود، فما هو بالضبط السبب الذي من أجله كان اليهود يضطهدونه خلال خدمته؟ لقد كان هناك على وجه الخصوص ثلاثة أشياء قالها بولس الرسول؛ صدمت كل العقائد الراسخة في أذهانهم، وهي :-